عبدالله السمطي

غنـــاء لا بـد مـــنـه

أُولدُ
أو
أُحْرقْ
لا فرقَ.
ففي ربْعِ هواكِ الأرضُ تمورُ على قدميَّ
وشيءٌ ما
يُصبحُ رحماً للقلبِ
وطيرٌ ما يُشعلُ فيَّ سماواتٍ من أزْرقْ.
ولذا
أتمنى أنْ أُولدَ
حين تموتُ على صدرك أشْجاري الأولى
وأزوّجَ غُصْناً ما منْ أغصانكِ
ثم أمسّكِ كي أتورّقْ
أيْضاً
أتمنى أنْ أُحْرقْ
ما من سببٍ، غير رمادٍ يصبحُ طيراً
لما أسْتدعيكِ إلى جسدٍ ما غيري
أتجلّى فيهِ أوْ أتخلّقْ.
....
قلتُ أنا قبل قليلٍ
ربْعَ هواكِ. نَعَمْ. ربع هواكِ.
فالأرضُ إذا اتسعتْ
والشمس إذا كسفتْ
والريح إذا اتّصلتْ
لا بد لحبكِ أنْ يتكاثر في أمْكنتي
أن يَبني جُدراناً تحت الجلدِ
وأنهاراً فوق الجلدِ
لكيْ شيءٌ أبيضُ يوماً يتدفّقْ.
...
صُبّي هذا الخيلَ الكامنَ تحت الثوبِ،
الخيلَ الطافحَ من تعبي وصهيلي.
لا بدّ امرأة مثلكِ
تعرفُ شيئاً من أشواطِ يدي.
فلكي ألمسَ بشرتكِ الأولى
لا بدَّ حريقٌ سوف يشبُّ
ولا بدَّ قيامةُ ربٍّ سوف تصيحُ
ولا بدَّ إلهٌ سوف يُؤرّقْ.
...
ما هذا الجسدُ المطلقْ
سأطيعُ الآلاءَ، الأسماءَ، الأعضاءَ،
الأنواءَ، الأجواءَ، الإغواءَ،
الإسراءَ...
وأصلبُ شيطاني تحت سفوحِكِ
أنصبُ مائي
كي ينظّفَ بحرٌ ما
يتحرقْ
أو
يتشوّقْ
أو من كثرةِ طَعْني فيه
يتأسّى... بالدمعِ المتدفّقْ.
قولي لي كوناً من شفتيكِ
وقولي عَسَلاً بريّاً،
لا نحلَ بجسمي الآن سوى لغتي
ولذلك لن أتكلّمَ إلا في فمكِ المُطْبَقْ.
سأفتش عن لهبٍ
يصلحُ للقبلاتِ الدنيا،
وأصالحُ هذا الخدَّ، وهذا الخدَّ،
وأتركُ بعض دمي في وردهما.
أتذكّرُ كلَّ مراثي الحربِ
وأجعلُ من أسناني شهداءً في شفتيكِ
وألثمُ أو أمتصُّ رحيقاً
خبّأَ روحكِ في مطرٍ لا يرعدُ أو يبرقْ.
...
هذا الحبُّ الأدهى والأقسى
نعرف أنّا خبأناه
في بئر ما خلف الروح
ينزُّ على ساحلِ بشرتِنا
عرقاً
وأطاعَ أصابعَنا حين ابتلّت في غسقِ الحبرِ
وباحتْ شعراً.
لو مسَّ القمرُ العالي فاصلةً فيه تموسَقْ
هذا الحبُّ
يجابهنا الآن
لقد فاض البئرُ، وجاءَ الطوفانُ
فأين ترانا نذهبُ؟
وبأيِّ الغيماتِ نُعلّقْ
في رأي ملائكةٍ لن يأتوا في زمنٍ آتٍ
قالوا في صوتٍ مأنوسٍ:
نولدُ
أو نُحْرقْ؟

الرياض